المحاضرة الثانية عشر "فى رحاب آية"

يقول المولى عز و جل " إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكمن لعلكم تذكرون"

- **فضلها:**

لقى عمربن الخطاب رضى الله عنه ركباً فى سفر من أسفاره و الليل مخيم يحجب الركب بظلامه و كان فى الركب عبد الله بن مسعود ، فأمر عمر رجلا أن يناديهم : من أين القوم؟ ، فأجابه عبد الله بن مسعود: من الفج العميق

فقال عمر أين تريدون؟

فقال عبد الله بن مسعود : البيت العتيق

فقال عمر: إن فيهم عالماً و أمر رجلاً فناداهم:

أى القرآن أعظم ؟

فأجابه عبد الله بن مسعود " الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات و ما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم و ما خلفخم و لا يحيطون بشئٍ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات و الأرض و لا يؤوده حفظهما و هو العلى العظيم" آية الكرسى

قال نادهم أى القرآن أحكم؟

فقال عبد الله بن مسعود " إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون"

فقال أى القرآن أجمع؟

فقال " فمن يعمل مثقال ذرة خير يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره"

فقال عمر نادهم أى القرآن أخوف؟

فقال " ليس بأمانيكم و لا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به و لا يجد له من دون الله ولياً و لا نصيرا"

فقال عمر نادهم أى القرآن أرجى؟

فقال عبد الله بن مسعود " قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنتوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم"

فقال: نادهم أفيهم عبد الله بن مسعود ؟ قالوا : نعم.

قال عبد الله بن مسعود عن نفسه " و الله الذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم أين نزلت و أعلم فيما نزلت، و لو أعلم أن أحداً أعلم منى بكتاب الله تناله المطىّ لأتيته"

هذا هو كتاب الله فيه النجاة و فيه الرجاء و فيه الخوف...

كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، قال تعالى " و يوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيداً على هؤلاء و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين"

ثم يجئ فى الآية التالية ببيانٌ لبعض ما فى القرآن من التبيان و الهدى و الرحمة و البشرى فى قوله تعالى: " إن الله يأمر بالعدل و الاحسان ... الآية"

و قد قيل " لو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية الكريمة لكفت فى كونه تبياناً لكل شئ و هدى و رحمة "

و عن ابن عباس " هذه أجمع آية فى القرآن لخير يتمثل وشر يجتنب"

- **سبب نزولها:**

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس بفناء بيته إذ مر به عثمان بن مظعون فقال له النبى صلى الله عليه و سلم ألا تجلس ؟ فقال: بلى ، قال : فجلس و الرسول مستقبله ، فبينما هو يحدثه إذ شَخَصَ بصره حتى وضعه على يمينه فتحرف الرسول عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ يُنْغِضُ رأسه كأنه يَسْتَفْقِهُ ما يقال فلما مضى قضى حاجته و استفقه ما يقال شخص بصره إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى إلى السماء ، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى فقال: يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة ، فقال : و ما رأيتنى فعلت ، فقص عليه ، فقال صلى الله عليه و سلم : أتانى جبريل و أنت جالس ، قال : فما قال لك؟

قال: "إن الله يأمر بالعدل و الإحسان و إيناء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى" و أمرنى أن أضعها فى هذا الموضع من الصورة ، قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان فى قلبى و أحببت محمداً"

- **تفسير الآية :**

"إن الله يأمر بالعدل و الإحسان "

العدل وسط بين الجور و الإحسان ، و لذلك كان الأمر بالعدل و الندب للإحسان ، و النهى عن الجور.

ندب	أمر	نهى
إحسان	عدل	جور

قال تعالى :

" وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به" ..... عدل

" و لئن صبرتم لهو خير للصابرين" .....إحسان

"وجزاء سيئة سيئة مثلها" ..... عدل

" فمن عفا و أصلح فأجره على الله" ..... إحسان

" و الجروح قصاص" ..... عدل

" فمن تصدق به فهو كفارة له" ..... إحسان

أمثلة أخرى:

إذا صليت المكتوبات ..... عدل

إذا صليت المكتوبات و النوافل ..... إحسان

أن تؤتى زكاة مالك ..... عدل

أن تؤتى الزكاة و تتصدق ..... إحسان

أن تعبد الله ..... عدل

أن تعبد الله كأنك تراه ..... إحسان

و لذلك ورد فى حديث جبريل حين سأل النبى صلى الله عليه و سلم عن الإحسان فأجاب صلى الله عليه و سلم " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"

و هذا كناية عن تحسين العبادة و مراقبة الله فيها و استحضار عظمته تعالى حال الشروع فيها .

و أرباب القلوب فى هذه المراقبة على حالين :

1. أحدهما غلب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه ، و لعل النبى صلى الله عليه و سلم أشار لذلك بقوله : " جعلت قرة عينى فى الصلاة" .
2. ثانيهما لا ينتهى إلى الحالة الأولى بل يغلب عليه أن الحق مطَّلع عليه و مشاهد له و هذا ما أشار إليه قوله تعالى " و توكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم و تقلبك فى الساجدين"

و يتضح لنا مفهوم العدل و الإحسان من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها :

1	بالإخلاص فى السر و العلن	عدل
2	و بالعدل فى الرضا و الغضب	
3	و بالقصد فى الغنى و الفقر	

4	و أن أعفو عن من ظلمنى	إحسان
5	و أعطى من حرمنى	
6	و أصل من قطعنى	

7	و أن يكون صمتى فكرا	منزلة عليا
8	و أن يكون نطقى ذكرا	
9	و أن يكون نظرى عبرا	

جزاء العادلين .... الجنة

جزاء المحسنين ... الجنة + الزيادة (النظر لوجه الله الكريم).

" إيتاء ذى القربى "

أليس إيتاء ذى القربى من الإحسان ؟ فلم أفرده الله تعالى بالذكر ، و قد صرَّح الله بذكره اهتماما بشأنه ، و الإحسان للقريب حق على قريبه مصداقا لقوله تعالى " و آت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل و لا تبذر تبذيرا" ، و قوله :" و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله" ، حتى لو جهلوا ، حتى لو قصروا فى حق قريبهم ، فالوصية تقول " و أن أصل من قطعنى" ، و حينما جاء أحد الصحابة للنبى صلى الله عليه و سلم و قال: أهلى و قرابتى ... أصلهم و يقطعونى و أحلم عليهم و يجهلون ، قال النبى صلى الله عليه و سلم: إنك تسفهم المَّل ، و لا يزال معك من الله ظهير ما دمتم على هذا الحال.

و قال النبى صلى الله عليه و سلم من سره أن يُنسأ له فى عمره و يبسط له فى رزقه فليصل رحمه.

" و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى"

الفحشاء : تجاوز الحد فى القول و الفعل ، فالسباب فحشاء لأنه تجاوز للحد فى القول ، الزنا فحشاء لأنه تجاوز لما أحل الله ووضع للنطفة فى رحم لا يحل.

المنكر : ما ينكره الشرع و تنكره الفطرة السوية من المعاصى و الرذائل و الدناءات ، فكل ما تأباه الفطرة السليمة ينكره الإسلام:

عدم أداء الأمانة	منكر
التقصير فى العمل	منكر
التقصير فى حق الأبناء و تربيتهم	منكر
سوء معاملة الجيران	منكر
عدم الوفاء بالعهد	منكر
إهلاك النفس بالدخان	منكر
شرب الخمر	منكر
الغيبة و النميمة	منكر
الخوض فى الأعراض	منكر

البغى : هو التطاول على الناس و ظلمهم.

و منشأه الكبر المتولد من القوى الشيطانية الوهمية.

فليتق الذين يبغون فى الأرض بغير الحق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب ، ففى الحديث " ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل و الصائم حين يفطر و المظلوم فإن الله يرفع دعوته فوق العنان و يقول و عزتى و جلالى لأنصرنك و لو بعد حين.

و دعوة المظلوم لا ترد و لو كانت من كافر ، و مع أن البغى يدخل فى إطار المنكر إلا أن الله تعالى أفرده بالذكر لخطورته.

عدل النبى صلى الله عليه و سلم:

يروى أن امرأة سرقت فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه ، فلما كلمه أسامة تلون وجهه صلى الله عليه و سلم و قال: أتكلمنى فى حد من حدود الله تعالى؟ ، فقال أسامة: أستغفر لى يا رسول الله ، فلما كان العشى قام رسول الله صلى الله عليه و سلم خطيباً فى الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ ، و الذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم أمر النبى صلى الله عليه و سلم بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك و تزوجت.

أخرج الطبرانى عن خولة بنت قيس إمرأة حمزة بن عبد المطلب قالت: كان على النبى صلى الله عليه و سلم و سعد من تمر لرجل من بنى ساعدة فأتاه يقتضيه ، فقضاه تمراً دون تمره فأبى أن يقبله ، فقال: أترد على رسول الله ؟ قال: نعم ، ومن أحق بالعدل من رسول الله؟ ، فاكتحلت عينا رسول الله بدموعه ثم قال: صدق و من أحق بالعدل منى؟ لا قَدّسَ الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها و لا يتعته ، ثم قال: خولة ، عدين و اقضه ، فإنه ليس من غريم يخرج من غريمه راضيا إلا صلت عليه دواب الأرض و نوت البحار و ليس من عبد يلوى غريمه و هو يجد إلا كتب الله عليه فى كل يوم و ليلة إثما". رواه أحمد